



## 253167 – قوله تعالى : (وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا) لا ينفي تعدد الأقمار

### السؤال

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العظيم : (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا) نوح / 15 ، 16 ، صدق الله العلي العظيم. هنا قال الحق: (وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا) أي: نورا في السبع سماوات، ولكن بعد وصول الإنسان إلى الفضاء اكتشف مليارات الأقمار! فكيف ذكر الله سبحانه وتعالى قمرا واحدا في السبع سماوات وهناك الكثير منه في الفضاء؟

### الإجابة المفصلة

الحمد لله.

القمر المذكور في سورة نوح لا يُشكّل بوجه من الوجه ، مع توافر الأقمار في فضاء السماوات ، ومدارات الكواكب ، وذلك من وجوه عديدة:

أولاً:

الآية الكريمة لم تخصص قمرا واحدا، والتركيب اللغوي المستعمل فيها لا يفيد الحصر ولا القصر، فقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا. وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا) نوح / 15 ، 16 غايتها – في هذا المقام – إثبات نورانية القمر، دون التعرض لغيره من الأقمار بمنفي ولا إثبات ، مثالها كما تقول: "جعلت هذا الكتاب نبراسي". فهذا لا ينفي أنك جعلت غيره من الكتب أو المعلمين أيضا نبراسا لك ، وفي مكان تعتبر من التقدير والاهتمام ، وهذا واضح في اللغة العربية؛ ولهذا قرر أكثر علماء الأصول عدم حجية ما يسمى بمفهوم اللقب، وهو الاستدلال بالحكم على اسم جنس أو علم على نفي الحكم عما عداه.

يقول ابن قدامة رحمه الله:

"[مفهوم اللقب] أن يخص اسماً بحكم ، فيدل على أن ما عداه بخلافه : أنكره الأكثرون، وهو الصحيح؛ لأنه يفضي إلى سد باب القياس".

انتهى من "روضة الناظر" (2/137) ، وانظر: "البحر المحيط" (148-5/155).

ثانياً:

سياق الآيات واضح التعلق بالمخاطبين من قوم نوح، فقد كان عليه السلام يحاورهم، ويجادلهم بالتي هي أحسن، ويستعمل معهم الآيات والبراهين الواضحات والمشاهدات كي يقيسوا عليها ويعتبروا بها، والآية الكريمة هنا في معرض سياق هذا



الحوار، فخاطبهم قائلاً (أَلَمْ ترُوا كِيفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا) .  
وهو لاء الأقوام لا يعلمون من الفضاء الفسيح أقماراً سوى هذا القمر الذي يرونـه ويشاهدونـه، ولم يكن من المناسب أن يـجاجـهم عليه السلام بما لا يـعرفـونـه من آيات الكون المنظور، فاقتصر على ذكر القمر المعـروفـ لكل الناس، ودعـاهـمـ إلى الاعتـبارـ بـعظـمةـ هـذاـ الخـلـقـ وجـلـيلـ آيـاتـهـ عـلـىـ تـوـحـيدـ اللـهـ سـبـحـانـهـ ، ونبـذـ كلـ ماـ يـدـعـىـ منـ دـوـنـهـ .

ولـوـ حدـثـهـمـ عنـ أـقـمـارـ عـدـيدـةـ فـيـ السـمـاـوـاتـ العـلـىـ لـاـرـتـدـ ذـلـكـ عـلـيـهـمـ بـمـزـيدـ مـنـ الـكـفـرـ وـالـطـغـيـانـ، وـسـيـكـيـلـوـنـ لـهـ التـهـمـ جـزـافـاـ  
بـالـجـنـونـ وـالـسـحـرـ وـحـدـيـثـ الـخـرـافـاتـ ، وـلـمـ اـسـتـطـاعـ عـلـيـهـ السـلـامـ أـنـ يـقـيمـ لـهـمـ بـرـهـاـنـاـ عـلـىـ ذـلـكـ – بـحـكـمـ ذـلـكـ الزـمـنـ – وـحـيـنـئـذـ  
سـوـفـ تـبـطـلـ حـجـتـهـ عـلـيـهـمـ ، وـتـزـيـدـهـمـ كـفـرـاـ إـلـىـ كـفـرـهـمـ ؛ فـكـانـ الصـوـابـ الـاقـتـصـارـ عـلـىـ ذـكـرـ الـقـمـرـ الـوـاحـدـ.

ثالثاً:

وـنـهـبـ بـعـضـ الـعـلـمـاءـ إـلـىـ أـلـفـ وـالـلـامـ (أـلـ) فـيـ كـلـمـةـ (الـقـمـرـ) فـيـ الآـيـةـ الـكـرـيمـةـ لـيـسـ لـلـعـهـدـ، وـإـنـماـ يـرـادـ بـهـاـ الـجـنـسـ ، أـيـ جـنـسـ  
الـأـقـمـارـ جـعـلـهـاـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ نـورـاـ فـيـ السـمـاـوـاتـ، وـهـذـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـشـمـلـ الـقـمـرـ التـابـعـ لـلـكـرـةـ الـأـرـضـيـةـ، وـغـيـرـهـ مـنـ الـأـقـمـارـ.  
يـقـولـ الـعـلـمـاءـ جـمـالـ الدـينـ الـقـاسـمـيـ رـحـمـهـ اللـهـ:

"لـيـسـ الـقـمـرـ خـاصـاـ بـالـأـرـضـ، بـلـ لـلـسـيـارـاتـ الـأـخـرـىـ أـقـمـارـ (وـجـعـلـ الـقـمـرـ فـيـهـنـ نـورـاـ) [نـوحـ: 16] فـاـلـلـفـ وـالـلـامـ فـيـ الـقـمـرـ لـلـجـنـسـ ،  
لـاـ لـلـعـهـدـ، كـمـاـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: (أـلـفـدـ خـلـقـنـاـ إـلـنـسـانـ فـيـ أـحـسـنـ تـقـوـيـمـ) [الـتـيـنـ: 4]" اـنـتـهـىـ مـنـ "مـحـاسـنـ التـأـوـيلـ" (1/ 210).  
وـيـقـولـ الشـيـخـ مـحـمـدـ رـشـيدـ رـضاـ رـحـمـهـ اللـهـ:

"وـأـمـاـ الـأـقـمـارـ فـهـيـ كـالـمـرـأـةـ ، تـعـكـسـ نـورـ الشـمـسـ عـلـىـ الـكـوـاـكـبـ التـابـعـةـ لـهـ؛ فـلـذـاـ لـمـ تـسـمـ فـيـ الـقـرـآنـ بـالـسـرـجـ، فـإـنـهـ لـاـ نـورـ لـهـاـ مـنـ  
ذـاتـهـاـ، قـالـ اللـهـ تـعـالـىـ: (أـلـمـ تـرـوـاـ كـيـفـ خـلـقـ اللـهـ سـبـعـ سـمـاـوـاتـ طـبـاقـاـ) وـجـعـلـ الـقـمـرـ) – (نـوحـ: 15ـ16) أـيـ: جـنـسـ الـقـمـرـ – (ـ  
فـيـهـنـ نـورـاـ وـجـعـلـ الشـمـسـ سـرـاجـاـ) (نـوحـ: 16)، أـيـ: لـهـمـ جـمـيـعـاـ اـنـتـهـىـ مـنـ "مـجـلـةـ الـمـنـارـ" (14/ 577).  
وـالـلـهـ أـعـلـمـ.